(١٤) مشروع الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية

الخطبة الأولى

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

مد وجزر فى تاريخ الإسلام :

يتعّرض الإسلام فى عصرنا لهجمات وغزوات، وتنزل به محن لم يعرف مثلها من قبل، محن من نوع جديد، ولون جديد .

لقد امتحن الإسلام منذ فجره بمحن شتّى منذ عهد تكوينه فى عهد النبى ﷺ . امتحن الإسلام فى العهد المكى بما أصاب المسلمين من بلاء وفتن، نزل فيها مثل قوله تعالى : ﴿ **الٓمٓ * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [العنكبوت : ١– ٣] . امتحن الإسلام فى العهد المكى بالإيذاء والعذاب يُصبّ على المسلمين، حتى إنّ منهم من مات تحت نير العذاب، مرّ النبى ﷺ على آل ياسر وهم يُعذّبون فلم يملك إلاّ أن يقول لهم : « صبراً آل ياسر فإنّ موعدكم الجنّة »(١) .

وامتحن الإسلام فى العهد المدنى، امتحن بغزوات المشركين، حتى أرادوا يوماً أن يستأصلوا شأفة المسلمين ويقتلعوهم من جذورهم، حينما جاءتهم الأحزاب من فوقهم ومن أسفل منهم، وغدر اليهود فى داخل المدينة وحولها، وظهر النّفاق من المنافقين. وهكذا بلغت القلوب الحناجر، وزاغت الأبصار وظنّ النآس بالله الظنون، وزلزل المؤمنون زلزالاً شديداً. ولكنّ الله ردّ الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا، وكفى الله المؤمنين القتال، وأرسل ريحاً وجنوداً لم يرها النآس، وكان الله قويّاً عزيزاً .

---

(١) رواه ابن إسحاق فى السيرة، والطبرانى فى الأوسط، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبى، وأخرجه أحمد، وأبو نعيم فى الحلية، وقال الشيخ الألبانى فى تخريجه لأحاديث (فقه السيرة) لمحمّد الغزالى : حديث حسن صحيح (ص١٠٣) .

OBEIKAN.COM

وامتحن الإسلام بعد رسول الله ﷺ. بردّة المرتدين، واستناع المانعين للزكاة. تألبّت القبائل وغلبتها العصبيّة على الحق، اتبعوا متنبئيهم – من تنبأوا بالكذب وزعموا أنّهم رسل لله يُوحى إليهم، اتبعهم قبائلهم وأقوامهم – وهم يعلمون أنّهم كاذبون، وقالوا فيما قالوا: كذّاب ربيعة أحبّ إلينا من صادق مضر!.

ارتدّت قبائل العرب إلاّ القليل منهم، وقال من قال لخليفة رسول الله ﷺ: لا طاقة لك بحرب العرب جميعاً، الزم بيتك، وأغلق بابك، واعبد ربّك حتى يأتيك اليقين.

ولكن أبا بكر – كما ذكرت لكم فى خطبة سابقة[1] – هذا الرجل البكّاء الخاشع الذى تنهمر دموعه من خشية الله، كان كالجبل الأشمّ، لم يقبل أن يهادن أو يداهن أو يستسلم فى دين الله، وجيّش الجيوش، وأبى إلاّ أن يقاتل كلّ من ارتدّعن الإسلام أو منع حقّاً من حقوق الله، وقال قولته التاريخيّة: والله لومنعونى عقالاً كانوا يؤدّونه لرسول الله لقاتلتهم عليه.

وانتصر الإسلام على المتنبئين وعلى المرتدّين، ورمى بهؤلاء فى وجه الأكاسرة والقياصرة، فكان المرتدوّن يكفرّون عمّا مضى من سيّئاتهم بالحماس والبذل لله ولرسوله، وتقدم الصفوف فى سبيل الله فى حرب الأكاسرة والقياصرة والمتجبرين فى الأرض.

الحروب الصليبية:

وكانت بعد ذلك حروب وحروب.

كانت الحروب الصليبية، تسع حملات صليبية، قادها القساوسة وقادها الطامعون من أوربّا. جاؤوا بقضّهم وقضيضهم، وثالوثهم وصليبهم، يحملون الصليب شعاراً، بدعوى إنقاذ قبر المسيح والاستيلاء على أرض الصليب! انتهزوا غفلة المسلمين وتفرّقهم وجاؤوا فى هذه الحملات المتوالية، واستطاعوا فى وقت

---

(١) انظر: الجزء الثالث من هذه الخطب، ص (١٤).

من الأوقات – فى غفلة من أصل الزمن، وتتابع من المحن – أن يقيموا ممالك لهم فى أرض الإسلام. فى أرض الشام، ممالك استقرّت وأصبح لها ملوكها وأمراؤها، وأصبح من أمراء المسلمين للأسف – ممن ينتسبون إلى الإسلام – من يخطب ودّها، ويهادنها، ويتحالف معها ضدّ إخوانه الآخرين من المسلمين.

ودخلوا بيت المقدس وقتّلوا عشرات الآلاف فى ضحوة واحدة، حتى غاص النّاس فى الدم إلى الركب، وكان ما كان. وبقى المسجد الأقصى وبقيت القدس الشريفة فى أيدى هؤلاء تسعين عاماً، حتى حرّرها القائد المسلم البطل (صلاح الدين الأيوبى).

وحدث بعد ذلك شىء آخر، حدثت الحروب التتريّة: حروب المغول الذين جاؤوا من شرق آسيا كالريح العقيم، ما تذر من شيىء أتت عليه إلاّ جعلته كالرميم، لايكاد يقف شيىء أمامهم، كلّ من حاربهم انهزم أمامهم، فاستولوا على البلاد، وقهروا العباد، ودانت لهم المدن، حتى كان المثل السائر: إذا قيل لك أنّ التتر قد انهزموا فلا تصدّق! نفس أسطورة (القوّة التى لا تقهر) التى نسمعها فى عصرنا اليوم.

ثمّ ذهب بهم الطمع إلى أن أرادوا أن يدخلوا عاصمة الإسلام.. عاصمة الحضارة الإسلاميّة، والخلافة الإسلامية (بغداد). ودخلوها بمعونة الخائنين والعملاء والكائدين، الذين باعوا دينهم بدنياهم، أو بدنيا غيرهم.

ودخل التتر إلى بغداد سنة (٦٥٦) من الهجرة، فقتلوا وذبحوا حتى سالت الدماء أنهاراً فى الشوارع، وحتى كانت الميازيب التى تنزل مياه المطر من فوق السطوح لا تنزل مياه المطر، وإنّما تنزل دماء المسلمين تُصب صبّا. هكذا، قتل مئات الآلاف من المسلمين فى أيّام معدودات، ولم يجدوا من يقاوم، انتهت المقاومة فى أيام وبقى النّاس لا يجدون من يردّ عنهم، أو يصدّ هؤلاء المغيرين، الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد، وألقوا بالكتب الإسلامية فى نهر دجلة حتى اسودّ ماء النهر من كثرة المداد الذى سال! هكذا حدث.

وظنّ الناس أن بساط الإسلام قد طوى، وأنّ علم الإسلام قد نُكّس إلى الأبد، وأن الإسلام لن تقوم له قائمة بعد اليوم. ولكن جرّب الناس أن هذا الدين أصلب ما يكون عوداً، وأشدّ ما يكون قوّة، وأصفى ما يكون جوهرا، حينما يتعرّض للزلازل والمحن، هنالك تبرز القوّة الكامنة فيه، ويبرز المؤمنون المختفون، وتجتمع القوى، وسرعان ما ظهر ذلك.

سرعان ما ظهرت قوّة هذا الدين، فما مضت سنتان حتى قامت معركة جديدة.. معركة حاسمة، جاءت من هناك.. من الشمال.. من مصر، قادها المظفرّ قطز سنة (٦٥٨) للهجرة، حينما بعث ملك التتار يهدّد قطز ويطلب إليه التسليم، ويرغى ويزبد، ويتهدّد ويوعد. ولكن قطز لم يلق بالاً إلى هذا الوعيد وإلى ذاك التهديد، فمزّق كتابه، وضرب عنق الرسولين اللذين بعثهما على غير سنّة الإسلام فى حماية الرسل. إنما أراد أن يُرى الناس أنه لا يمكن أن يسلّم ولا أن يستسلم ولابد من الحرب، وأن هذا أمر لا رجعة فيه. فكان قتل الأسيرين إيذاناً بأن المعركة قادمة.

وجمع الناس ونفخ فيهم من روح الدين، وجمع العلماء فحمسوا الناس وأوقدوا جذوة الإيمان فى الصدور، وخرجوا فى شعبان لملاقاة التتار فى فلسطين.

وجاء رمضان، وفى يوم الخامس والعشرين من رمضان – وكان يوم جمعة – كان اللقاء بين جيش الإسلام وجيش الكفر. وقف قطز يتضرّع إلى الله ويدعو، ويقول للمسلمين: لا تبدأوا الآن، انتظروا حتى تنزول الشمس، وتفيء الظلال، ويصلّى المسلمون الجمعة فى كلّ مكان فيدعو لنا خطباؤهم بالنّصر ويقول المسلمون فى كلّ مكان: آمين آمين.

وما إن جاء وقت صلاة الجمعة، حتى بدأ الجنود يهاجمون التتار، ولكنّ الرعب الذى كان فى القلوب من قديم جعل كثيراً من المسلمين يولّون الأدبار. فما إن رأى ذلك قطز حتى رمى بخوذته التى يلبسها على رأسه على الأرض وصاح صيحته التاريخية الشهيرة: وا إسلاماه.. وا إسلاماه.. وا إسلاماه. وما إن

سمع جنوده هذه الصيحة حتى أقبل المدبر، وحتى تشجع الجبان، وحتى عاد المتردّد، وهجموا كأنهم الليّوث على أعدائهم، فما هى إلاّ جولة أو جولتان حتى كانت الدائرة على الكافرين، وكانت العاقبة للمسلمين، ونصر الله قطز ومن معه على التتار.

ثم انتصر المسلمون انتصاراً آخر، فإذا بهؤلاء التتار الذين جاؤوا يريدون أن يدمّروا الإسلام وأهله: ينظرون فى هذا الدين الجديد، وإذا بهؤلاء الغالبين يدخلون دين المغلوبين. فانتصر الإسلام مرّة أخرى بدخول التتار أنفسهم فى الإسلام.

محن أصابت المسلمين فى كلّ مكان.

محنة أخرى أصابت المسلمين فى الأندلس بعد أن ظلّوا هناك ثمانية قرون، رفعوا فيها لواء الله، وأعلوا كلمة الله، وأقاموا حضارة شامخة جمعت بين العلم والإيمان، كان الناس فى أوروبا يأتون إلى جامعاتها ليتعلموا منها، كان تلاميذ أوروبا يتعلمون فى جامعات الأندلس الإسلامية. كان أشراف أوروبا فى ذلك الوقت لا يعرفون أن يوقعوا، كانوا يبصمون، وما كانوا يستطيعون القراءة والكتابة، وكان أطفال المسلمين يذهبون إلى المعاهد والمدارس والجوامع فى كل مكان. لم تكن أوروبا تعرف الاستحمام ولا الاغتسال! وكان فى قرطبة وحدها ستمائة حمّام. كانت الحضارة الإسلامية هى السائدة.

ولكن العصبيّة الصليبيّة تألبّت على هؤلاء فيِ غفلة وتفرّق من المسلمين أيضا، واستطاعت أن تقتلع الإسلام من هذه الأرض، وفرضت عليهم: إمّا أن يتنصّروا وإمّا أن أن يخرجوا من هذه البلاد. ومن خرج فقلمّا يسلم فيِ طريقه، إمّا يصاب بالقتل أو الوباء أو الموت.

وهكذا لم يعد فيِ تلك الأرض مسلم إلى اليوم. ومن يزور إسبانيا يرى القصور والمساجد وآثار المسلمين إلى اليوم.

أصيب المسلمون بمحن شتىّ.

تجمع الجبهات المعادية على المسلمين:

ولكن شرّ ما أصيب به المسلمون: ما يصاب به الإسلام اليوم، من جبهات معادية، تختلف فيما بينها، وتتفق علينا نحن المسلمين، وصدق الله العظيم إذا يقول: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** ﴾ [الأنفال: ٧٣] أى إلاّ يوالِ بعضككم بعضا، ويساند بعضكم بعضا ﴿ **تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** ﴾. إذا كان هؤلاء يتساندون على باطلهم، فأولى أن تتوالوا وتتساندوا على حقّكم.

يتعرّض الإسلام اليوم للقوى المعادية فى الشرق والغرب: الشيوعيّة لم تكتف بأن تغزونا من الداخل عن طريق أحزابها وعملائها، فهى تغزونا من الخارج عن طريق الجيوش والسلاح، تستعمل منه ما حرّمته القوانين الدوليّة من النابالم والأسلحة الجرثوميّة والأسلحة الكيماويّة وغير ذلك، رأينا ذلك فى أفغانستان.

والجبهة الغربية بقواها المختلفة:

الجبهة اليهودية:

اليهوديّة العالميّة لم تجد أرضاً لها تتخذ منها دولة إلاّ أرضنا، كأنّ أرضنا ليس لها شعب حتى تستقبل شعباً ليس له أرض! وأقام هؤلاء دويلتهم التى كنّا نقول عنها (المزعومة) فى فلسطين. . فى قلب بلاد العروبة والإسلام.

ولم يعودوا يكتفون بهذه الدولة وبهذه الأرض، فهم يناوشون الجبهات من كلّ جانب، وهم يخططّون لتحطيم المنطقة وتمزيقها كلّها، كما قرأنا ذلك عن خطّتهم فى الثمانينات والتسعينات. وآخر ما قرأناه ما كتبه المفكّر المسلم الفرنسىّ الذى هداه الله إلى الإسلام (رجاء جارودى)، الذى كتب يقول: إنّ هؤلاء يفكّرون فى تمزيق سوريّا إلى عدة دويلات، وتمزيق لبنان إلى عدّة دويلات، وتمزيق بلاد الخليج وبلاد الجزيرة العربيّة إلى دويلات كذلك، وتمزيق مصر إلى دولة للأقباط فى الصعيد ودولة للمسلمين فى الوجه البحرى.

OBEIKAN.COM

هكذا كتب رجاء جارودى من واقع الوثائق التى درسها واطّلع عليها، وهكذا نشرت بعض الصحف فى البلاد العربيّة - مثل جريدة الدستور- من واقع ما كتبته أيضا صحف إسرائيليّة وما كتبته الوثائق ونقلت عنها مجلاّت عالميّة.

نحن أصبحنا نهباً لكل طامع، وغرضاً لكلّ طاعن، وأصبحنا أضيع من الأيتام فى مأدبة اللّئام. هكذا تفعل اليهوديّة.

إنّهم يفكّرون الآن فى هدم المسجد الأقصى لبناء هيكل سليمان عليه. ولا تستبعدوا شيئاً، فقد كنّا من قبل نستبعد أن تقوم لهؤلاء دولة، كنّا نستبعد أن يفعلوا ما فعلوا اليوم. والذى استبعده الناس من قبل واستبعده الجيل السابق، رآه الجيل اللاحق حقيقة واقعة. وأصبحت السياسة العربيّة اليوم ليست إزالة إسرائيل واقتلاعها من الوجود، بل إزالة آثار عدوان سنة (١٩٦٧م)، أمّا إسرائيل نفسها فقد أصبحت كياناً مشروعا! نتعرّض اليوم لهذا من الجبهة اليهوديّة.

الجبهة النصرانية:

نتعرّض من الجبهة النصرانيّة أيضاً لفتن ومؤامرات، سواءُ كانت جبهة كاثوليكية أم بروتستنتيّة أم أرثوذكسيّة. كلّ هولاء على اختلاف مذاهبهم التى تكاد تُحسب أدياناً فيما بينها، اتفقوا على حرب المسلمين.

رصد المبشّرون الأمريكان وحدهم (ألف مليون دولار) لتنصير المسلمين فى العالم، لإخراج المسلمين من دينهم وإدخالهم فى النّصرانيّة. مائة وخمسون مبشّراً من عتاة المبشّرين البروتستانت من الأمريكان اجتمعوا فى ولاية (كلورادوا) سنة (١٩٧٨م) ودرسوا أحوال المسلمين، ولماذا لا يدخلون فى النصرانيّة ؟ وما العقبات وما سبيل التغلّب عليها؟! وقدّم فى هذا المؤتمر أربعون بحثاً، ثمّ قرّروا العمل على تنصير المسلمين.. على إدخالهم فى النّصرانيّة، ورصدوا هذا المبلغ: ألف مليون دولار، ونُشر ذلك فى كتاب يقرأ ويتلى فى العالم، وهذا أمر أصبح معروفاً، أمّا القرارات السّرّية فلم تُنشر.

هذا ما رصده الأمريكان وحدهم، بخلاف ما رصده مجلس الكنائس العالمى، وبخلاف مارصده الفاتيكان والبابويّة التى لها جنود منتشرون فى كلّ مكان، وخاصّة فى بلاد العالم الإسلامى . فى اندونسيا وجدت هناك للإرساليّات التبشيريّة أكثر من خمسين مطارا تملكها هذه الإرساليّات! لأنّ اندونسيا جزر، فهى تستعمل الطائرات للانتقال بين الجزر بعضها وبعض.

الملايين تُبذل لنشر الديانة المسيحيّة ونشرها بين المسلمين! لو نشروها بين الوثنيّين أو الملاحدة الذين ينتشرون فى أوربّا لكان ذلك مقبولاً، أمّا أن ينشروها فى أمّة التوحيد . . فى أمّة القرآن . . فى أمّة محمّد عليه الصلاة والسلام، فهذا ما لا يقبل.

ولكن ما دمنا لا راعى لنا، ما دمنا لا قيادة لنا، فماذا نفعل؟ الكاثوليك لهم بابا، لهم قيادة تقول فتسمع، وتأمر فتطاع. البروتستانت لهم مجلس الكنائس العالمى، الأرثوذكس لهم بابا فى مصر، ولهم رؤساءهم فى روسيا واليونان. اليهود لهم مجلس الصهيونيّة العالميّة، الشيوعيّة لها الكرملين، وبعد الكرملين: الصين. كلّ مذهب فى الدنيا وكلّ دين له قيادته إلاّ المسلمين، فقد فقدوا القيادة، من بعد ما فقدوا الخلافة لم يعد لهم خليفة، ولم يعد لهم قيادة سياسية ولا دينيّة ولا فكريّة فأصبحوا ضائعين.

هكذا أصبحنا أيّها الإخوة المسلمون، هكذا أصبحنا اليوم نتعرّض لهذه المحن، ونتعرّض لهذه الفتن فى كلّ مكان.

الغزو الفكرى والغزو التبشيرى والغزو الشيوعى، يعمل عمله فى بلاد الإسلام، فأين الألف مليون مسلم؟ ماذا قدّموا؟ كنّا نقول- حينما استقبلنا هذا القرن الجديد . . القرن الخامس عشر الهجرى-: نرجو أن يكون هذا القرن قرن المسلمين. كان القرن الثالث عشر قرن ظهور الرأسمالية وسيادتها، وفى القرن الرابع عشر ظهرت الشيوعيّة، القرن الخامس عشر كنّا نريد ونأمل ونرجو أن يكون قرن ظهور الإسلام وانتصار الإسلام، ولكنّ الجبهة الإسلاميّة لا تزال مفكّكة.

الجبهة النصرانيّة تعمل، والجبهة اليهوديّة تعمل، والجبهة الشيوعيّة تعمل، والجبهة العلمانيّة تعمل، حتى الجبهة الوثنيّة التى تعبد البقر والتى تعبد الصنم تعمل من أجل دينها وتذبح المسلمين. فماذا فعلت الجبهة الإسلامية؟ أين جبهة الإسلام؟ أين أمّة (لا إله إلا الله محمّد رسول الله)؟ أين أمّة القبلة؟ أين أمّة القرآن؟ أين هى؟

إنىّ أنظر عن يمينى وعن شمالى، فأرى أعداداً غفيرة، ولكن لا تجد من يقودها ومن ينظّمها، إمّا أناساً هم فى نومهم غارقون، وفى غفلتهم سادرون، وإمّا أناساً مشغولين بالتوافه.. بالجزئيّات عن القضايا الكبرى، إنهم بتوافه الأمور مشغولون، وبحرب بعضهم بعضاً منهمكون. وإمّا أرى آخرين يائسين، يقولون: لا أمل فى اليوم، ولا رجاء فى الغد. ناسين أنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ولا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون.

أقول قولى هذوأستغفر الله تعالى لىِ ولكم، ادعوا ربكم يستجب لكم.

● **الخطبة الثانية:**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

وجوب التحرك للعمل الخيرى:

منذ أسبوعين كنت فى جدّة بالمملكة العربيّة السعوديّة، وكنت ألقى محاضرة هناك، وبعد المحاضرة سئلت أسئلة تناولت أوضاع المسلمين وأحوالهم فى العالم، وما يتعرّضون له من مكايد ومؤامرات، ومنها هذا الأمر الذى قصصت عليكم قصته- ما رصده الأمريكان من أموال لتنصير المسلمين- وقلت لهم: إنّ المسلمين ليسوا عاجزين عن مقاومة هذا الأمر. وإذا كان الأمريكان قد رصدوا ألف مليون دولار، فنحن المسلمين قادرون على أن نرصد مثلها وأكثر منها. إنّ عدد المسلمين فى العالم (ألف مليون)، فلو دفع كلّ مسلم دولاراً واحداً، لجمعنا الألف مليون فى يوم واحد.

نحن لا نريد بهذا أن نعتدى على أحد، نحن لا نقول كما كان يقول

اليهود- حينما أرادوا إقامة إسرائيل ونادوا يهود العالم -: ادفع دولاراً تقتل عربياً، بل نقول: ادفع دولاراً تنقذ مسلما. نحن ليس همّنا القتل، وإنّما همّنا الإنقاذ.

المسلمون فى العالم يتعرّضون للتنصير.. لهذا التضليل، وأقول لكم بصراحة: استطاع هؤلاء المضللّون أن يكسبوا، وأن ينصّروا مسلمين. كنت فى رحلة إلى اندونسيا وركبت الطائرة الاندونيسيّة، فسألت المضيّفة: هل أنت مسلمة؟ قالت: لا، أنا مسيحيّة، ولكنّى من أسرة مسلمة! أى أنّها نُصرّت. وسألت المضيّف: هل أنت مسلم؟ فقال: لا، ولكن زوجتى مسلمة! وهذه مصيبة أخرى. فى نيجيريا وفى البلاد الأخرى وجدنا أثر التبشير هناك، التبشير يعمل وينصّر أناساً بالفعل، المبشرّون يستغلّون الفقر والجهل والمرض والتخلّف والعرى. هناك أناس لا يجدون ثوباً يلبسونه فيموتون من شدّة البرد أو شدّة الحرّ، هناك من لا يجد اللقمة يضعها فى جوفه، هناك ملايين تموت من الجوع، هناك مدارس إسلاميّة لا تجد كرّاسة للتلميذ - كما حدّثنى إخوة هنا جاؤوا من أوغندا - ولا قلم رصاص، ولا محّاية، لا تجد هذه الأدوات البدائية البسيطة، على حين تتدفّق أطنان الكتب والكراريس والقرطاسيّة ، والأدوات على مدارس التبشير بجوارهم، وهم يقولون لهم: ما لكم تعيشون فى هذا الضنك؟ هاتوا أبناءكم إلى مدارسنا، ولكنّهم برفضون.

المسلمون يعانون هذا كلّه، على حين توجد أموال كثيرة فى بلاد إسلامية يلعب أهلها بالملايين لعبا.

قلت فى الأسبوع الماضى فى مثل هذا الوقت فى خطبة الجمعة- التى أذيعت من إذاعة الكويت -: لو أنّ الأغنياء فى الكويت أخرجوا زكاتهم لجمعنا الألف مليون دولار. أليس فى الكويت وحدها من رؤوس الأموال التى فى الداخل أو فى الخارج أربعون ألف مليون دولار؟ الأربعون ألف مليون فيها ربع العشر: ألف مليون. فكيف لو جمعت زكاة الكويت وقطر والإمارات والسعودّية وهذه البلاد؟

إنّنا أغنياء، إنّنا قادرون، فلماذا نقف عاجزين؟

قلت للإخوة فى جدّة هذا الكلام، فقالوا لى: ولماذا تسكت؟ لماذا لا تدعو المسلمين إلى أن يجمعوا ألف مليون دولار لمقاومة التنصير والشيوعيّة والتضليل؟ قلت: وبماذا أدعوا وما سلطتى وما صفتى؟ قالوا: بصفتك من علماء المسلمين ودعاتهم.

حمّلونى المسؤوليّة، وألزمونى أمام الله أن أدعو إلى هذه الدعوة، ووعدتهم بذلك.

حيث وجدت تجمّعاً إسلاميّا دعوت لهذه الفكرة، فلمّا كنت فى مؤتمر المصارف الإسلاميّة بالكويت وفى الجلسة الختاميّة للمؤتمر دعوت إلى هذه الفكرة.. إلى أن يقف المسلمون وقفة إيجابيّة بدل تشاكى الهموم التى تعودّنا كلّما جلس بعضنا إلى بعض أن نشكو همومنا ونتحدث عن مآسينا، ولا نتقدّم خطوة إلى الأمام، ولا نفعل شيئاً إيجابياً. دعوتهم إلى هذا واستجاب النأس وقالوا لى: انتظر حتى تخطب الجمعة هنا، وتذكر ذلك فى الجمعة وتذاع فى الإذاعة والتلفزيون، وقد كان.

ووجد هذا الأمر تجاوباً كبيرا، تبيّن أنّ الخير فى هذه الأمّة قائم، وأنّ الخيّرين كثيرون، وأنّ عشرات ومئات الهواتف بدأت تسأل: أين هذا الأمر؟ وأين ندفع؟ وأين نبذل؟

نحن الآن فى سبيل التهيئة، ولكنّنا نخطّط وننظّم لهذا الأمر، وسيكون إن شاء الله، ستقوم هيئة عالميّة من مندوبين من المسلمين فى كلّ مكان، سيكون هناك مجلس تأسيس لهذه الهيئة.

سننظّم هذا الأمر، ولن نقف مكتوفين أبداً أمام القوى الكافرة التى تريد اقتلاع الإسلام من أساسه، ومهاجمته فى عقر داره. لا نريد العدوان على أحد، ولكنّا نريد الدفاع عن أنفسنا والحفاظ على ذاتنا ووجودنا.

إن هذا الدين أمانة فى أعناقنا، لم يصل إلينا هيّناً ليّنا، إنّما بُذلت فيه دماء،

وأزهقت أرواح، وحدث ما حدث على طول التاريخ. لا يجوز لنا أن نضيّع جهود المجتهدين، ولا جهاد المجاهدين من أمتّنا طوال أربعة عشر قرنا.

إنّنا قادرون على أن نفعل الكثير إذا وضع بعضنا يده فى يد أخيه، المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده قوىّ بأمتّه.

فيا أمّة الإسلام، يا ألف مليون مسلم فى أنحاء الأرض: هبّوا لنصرة دينكم وإنقاذ إخوانكم والدفاع عن شخصيّتكم حتى لا تُمحى من الوجود.

يا أيّها المسلمون عامّة، ويا أيّها الأغنياء والقادرون خاصّة، من رجال ونساء، من كبار وصغار، من عرب وعجم: أدعوكم إلى أن تنقذوا إسلامكم، أدعوكم إلى أن تنقذوا إسلامكم ... إلى أن تدافعوا عن وجودكم، ولابدّ أن يأتى اليوم الذى ترتفع فيه راية الله ﴿ **وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الروم: ٤-٦].

إنّنا نقيم هذا الصندوق إن شاء الله، وستعلمون عنه وكيف يُفتح؟ وأين يكون؟ ولكن هذه دعوة أوّليّة للتنبيه والإيقاظ [١]، وإنّ مع اليوم غدا وإن غدا لناظره قريب.

﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٧]، اللهم آمين.

وصلّ اللّهمّ على محمّد وآله وصحبه وسلّم، فصلّوا عليه وسلّموا تسليما، وأقم الصلاة.

* * *

---

(١) تبلور ذلك فى مشروع (الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية) التى أسست فى الكويت.

(١٥) التنصير فى منطقة الخليج

الخطبة الأولى :

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

غزو فى عقر دارنا :

شكا إلىّ كثير من الإخوة والأخوات النّشاط التبشيرى الملحوظ فى الآونة الأخيرة فى منطقة الخليج . وأرسلوا إلىّ صوراً من الرسائل التى تأتيهم عبر البريد ، تطلب إليهم أن يبحثوا عن خلاصهم ونجاتهم فى الإيمان بالرب (يسوع) ، الذى يغفر لهم كلّ خطاياهم بمجرّد أن يؤمنوا به ، وأنّ فى الكتاب المقدّس شفاء لكلّ داء ، وحلاً لكلّ مشكلة !

وهذا عجيب حقاً : أن يمارس هؤلاء نشاطهم علانية وجهرة فى بلاد إسلاميّة عريقة ، هى مهد الإسلام ، وهى دار الإسلام !

كنّا نودّ من هؤلاء : أن يذهبوا بنشاطهم إلى بلاد الوثنيّة فى آسيا وأفريقا ، فهناك وثنيّات كبرى ، فيها آلاف الملايين من النّاس . وهناك بلاد عاشت فى إطار الإلحاد سنين عَدَداً . . عقوداً من السنين .

كنّا نريد من هؤلاء المبشّرين والمنصّرين : أن يذهبوا إلى تلك الديار ليهدوهم إلى نصرانيتهم ، أمّا أن يذهبوا إلى بلاد المسلمين فهذا هو العجب حقاً !

وهذا ليس بجديد ، الحملة التبشيريّة بدأت مع الاستعمار . منذ دخل الاستعمار بلاد المسلمين وبلاد غيرهم فى آسيا وأفريقيا ، كان يجاور الاستعمار جنباً إلى جنب : التبشير !

فأوربا تخلّصت من الدين فى ديارها ، كان الدين - دين الكنيسة ورجال الكنيسة - عقبة فى سبيل النّهوض . كان الدين ضدّ الفكر ، وضدّ العلم والاختراع ، وضدّ التحرّر . كان مع الملوك ضد الشعوب ، وكان مع الاقطاعيّين ضد

الفلاّحين، وكان مع الظلم ضدّ العدل، وكان مع الظلام ضدّ النّور، وكان مع الجمود ضدّ التحرّر. ولذلك ثار النّاس على الدين هناك، وقالوا كلمتهم الشهيرة: اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيّس!

تحرّروا من دينهم.. دين الكنيسة.. الدين الذى وقف ضدّ هذه المعالم الهادية والمعانى الطيّبة. وقفوا ضدّ هذا الدين وثاروا عليه.

ومع هذا صحبوا الدين فى رحلاتهم الاستعماريّة! الدين الذى حاربوه فى الداخل اصطحبوه معهم إلى الخارج! اصطحبوا معهم المبشّرين والأناجيل، كما قال أحد الأفارقة: جاء الأوربيّون فأخذوا أرضنا وثروتنا وأعطونا بدلها الانجيل!

كان التبشير فى خدمة الاستعمار.، منذ بدأ الاستعمار والتبشير يسير فى ركابه، ويقدّم له الخدمات. هذا ما لاحظناه من قديم.

ومنذ بداية هذا القرن[1] ذهب إلى مصر حملات هائلة للتبشير، حاولوا أن يغزوا مصر بلد الأزهر وبلد العلماء، ولكنّهم لم يجدوا أذناً صاغية، لم يجدوا من يستجيب لهم. حتى القرى التى تشكو من سوء الحال و من ضيق العيش، كان الرجل يذهب إليهم ليحكى عن عجائب المسيح ومعجزات المسيح ومعجزات العذراء، والناس يسمعون، وفى النّهاية يقول أحد الحاضرين: وحّدوه - فيقول الناس: لا إله إلاّ الله - صلّوا على النبى، فيقولون: اللهم صل على محمد وعلى آل محمّد فيذهب المبشر ويقول: لم نستفد شيئا.

لم يجدوا من يستجيب لهم، وكتب كبيرهم فى ذلك تقريراً مطولاً قال فى نهايته: (سيظل الإسلام صخرة عاتية فى مصر، تتحطم عليها محاولات التبشير المسيحى، مادام للإسلام هذه الدعائم الأربع: القرآن، والأزهر، واجتماع الجمعة الأسبوعى، ومؤتمر الحج السنوى للمسلمين). ما دام القرآن يُحفظ ويُقرأ ويُتلى ويُسمع، فهو يوقظ ويحرك. ومادام هناك الأزهر يخرّج علماء يعلمون الناس

---

(١) أى: العشرين الميلادى.

ويعظونهم ويذكرونهم، فسيظل الناس مشدودين الى الدين. وما دام اجتماع الجمعة الأسبوعى يربط الناس بالمسجد ويربط الناس بالدين وبالعلم وبالموعظة وبذكر الله، فأيضاً سيظل الناس على صلة بالدين. وهذا مؤتمر الحج السنوى يذهب الإنسان عاصياً ويعود تائباً، يذهب بعيداً عن الله ويعود قريباً الى الله. هذه الدعائم الأربع.

وهذه الدعائم موجودة فى كل بلد، ليس المقصود بالأزهر هو البناء، المقصود بالأزهر: العلماء.. المؤسسة التى تخرج علماء الدين ودعاته. كل بلد فيها القرآن، وفيها العلماء وفيها اجتماع الجمعة، وفيها الحج.

ولذلك لم يستطع التبشير أن ينجح، وصدر فى ذلك كتاب مشهور اسمه: (الغارة على العالم الإسلامى)، وقال القائل فى ذلك الكتاب: ما دام هناك القرآن ومادامت هناك الكعبة فلن نستطيع أن نغزو المسلمين.

وستظل الكعبة، وسيظل المصحف ويظل القرآن إن شاء الله.

ولكنهم غيروا طريقتهم، استطاعوا أن يطوّروا أنفسهم، وكتب منهم من كتب: إنّه ليس من الضرورى أن نحول المسلم إلى نصرانى - ليس من الضرورى أن يتحول محمد وأحمد وعبد الرحمن وعلى إلى جورج ومتى وبولس - لكن المهم أن نزعزع ثقة المسلم بإسلامه.. أن نشككه فى الإسلام.. أن ندخل عليه مفاهيم جديدة تخالف مفاهيم الإسلام، وقيماً جديدة تخالف قيم الإسلام! وهكذا صنعوا، وخصوصاً فى المنطقة العربية. المنطقة العربية يصعب فيها أن ينتقل إنسان من مسلم إلى مسيحى، ولكن هذا حدث فى غير المنطقة العربية.

خارج العالم العربى وجدنا أناساً ينتقلون من الإسلام إلى النّصرانية، خصوصاً الأطفال الذين يأخذونهم منذ نعومة أظفارهم ليعلموهم فى مدارسهم، ويلقنوهم عقائدهم ومبادئهم، فينشأوا على ما علمهم معلموهم. وجدنا هذا فى آسيا وفى أفريقيا.

منذ عقود من السنين حكم نيجيريا حاكم مسيحى، هذا الحاكم المسيحى من قبيلة مسلمة! كيف صار هذا؟ إنه ارتد بواسطة التعليم فى المدارس.

وكثيراً ما تجد على لافتات المحلات هناك إسماً مسيحياً وجدّه اسم مسلم، أو قبيلته إسلامية.

وهكذا كان فى اندونيسيا. أذكر منذ نحو ربع قرن حينما ذهبت إلى اندونيسيا وفى الطائرة سألت المضيفة: هل أنت مسلمة؟ فقالت: لا، لست مسلمة، أنا مسيحية، ولكن أسرتى مسلمة! معناها أنها ارتدت والعياذ بالله بوساطة التنصير. وسألت المضيف: هل أنت مسلم؟ فقال: لا، ولكن زوجتى مسلمة! وهذه مصيبة أخرى. كيف تتزوج المسلمة غير مسلم؟! وكيف يحدث هذا فى بلد إسلامى؟!

استطاع هؤلاء المنصرون أن يكسبوا بعض المسلمين بوسائل شتى، وإغراءات مختلفة، إغراءات للبلاد الفقيرة والقرى النّائية، وهناك الأميون الذين لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه.

ومع هذا، مع أنهم كسبوا ما كسبوا، نرى المبشرين ينشرون أنهم لم يستطيعوا أن يؤثروا فى المسلمين، ولم يستطيعوا أن يكسبوا المسلمين. وهذا لعله مقصود منه أن يشعروا المسيحيين الأغنياء أنهم فى حاجة إلى مزيد من الأموال، لتتدفق عليهم المليارات. فكلما شعروا أن الأمر فيه عقبات ومعوقات ويحتاج إلى جهود أكبر وإلى أموال أكثر، جاءت لهم هذه المعونات بالمليارات.

ومن ناحية أخرى لعلهم يريدون ان ينومونا ويخدرونا، حتى نقول: الإسلام بخير، ونسكت على ما يجرى من حولنا ولا نقاوم. هذا هدف أيضا.

ومن ناحية ثالثة، فهذا لعله دون ما كانوا يتمنون. إنهم كانوا يتمنون أن يغزوا العالم الإسلامى ويحولوه إلى النصرانية، هذه كانت أمنيتهم ولكنهم لم يحققوها، ولم يقتربوا منها!.

منذ نحو ثلاثين سنة وضعوا خطة لتنصير اندونيسيا – أكبر بلد إسلامى

فى العالم – فى خمسين عاما. وذهب بعض الإخوة إلى اندونيسيا، وعرض عليهم الإخوة هناك الخطط التى وضعها المنصرون، وهى خطط جهنمية وراءها إمكانات هائلة. المسلمون فى اندونيسيا يتنقلون بين الجزر – واندونيسيا آلاف الجزر – بالقوارب، وهؤلاء ينتقلون بطائرات الهليوكبتر، وهناك حوالى ستين مطاراً تملكها الإرساليات التنصيرية فى اندونيسيا. لهم مدارس، ولهم مستشفيات، ولهم أندية، ولهم.. ولهم. وعاد الإخوة من هناك يقولون: يامسلمون، أنقذوا اندونيسيا..

وحينما زرت اندونيسيا منذ ربع قرن رأيت ذلك، وعرض علىّ الإخوة هذا الأمر وقالوا: ادع المسلمين فى أنحاء العالم أن يقفوا معنا.

ووقف الدكتور محمد ناصر وإخوانه هناك فى المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية يقاومون بإمكاناتهم القليلة. ولم يستطع التنصير أن يحقق أمنيته. بالعكس، جاءت صحوة إسلامية جديدة فى اندونيسيا لم تخطر لهم على بال، وإذا بالشباب الاندونيسيى يتحول الكثير منهم إلى الإسلام، ويقف مع الإسلام، ويدعو إلى الإسلام.

ولذلك حينما يقول المنصرون: نحن قد أخفقنا وفشلنا مع المسلمين، لأنهم لم يحققوا كل أمانيهم.

فى سنة (١٩٧٨م) انعقد مؤتمر للمنصرين البروتستانت فى ولاية (كلورادو) فى أمريكا، حضره مائة وخمسون من عتاة المبشرين وقدموا أربعين دراسة عن علاقة الإسلام بالمسيحية، وكان الهدف المعلن لهذا المؤتمر هو: تنصير المسلمين فى العالم! ليسوا الوثنيين ولا الملاحدة! هذا هو العجب. المسلمون يجب أن ينصروا، ورصدوا لذلك: ألف مليون دولار! جمعوها من الملياردرات الكبار فى الحال. وأنشأوا لذلك معهداً سموّه: معهد زويمر. وزويمر هذا أحد المنصرين العتاولة، كان مقره فى البحرين فى أوائل هذا القرن، ورأس مؤتمر

المبشرين الذين عُقد فى القاهرة سنة (١٩٠٦م)، أرادوا أن يحيوا ذكراه وأن ينشئوا معهداً متخصصاً فى تنصير المسلمين.. معهداً يخرّج متخصصين فى تنصير المسلمين، هؤلاء متخصصون فى جنوب أفريقيا وهؤلاء فى شرق أفريقيا.. فى غرب أفريقيا.. فى وسط أفريقيا.. فى شمال أفريقيا. وكل جماعة يعرفون المنطقة التى يبشرون فيها، يعرفون لغتها، يعرفون لهجاتها، يعرفون قبائلها، يعرفون شيوخ القبائل، يعرفون المذهب الفقهى السائد، يعرفون الطريقة الصوفية السائدة: نقشبندية أو تيجانية أو قادرية أو كذا، يعرفون المذهب العقيدى: هل هم أشاعرة؟ هل هم سلفيون؟ هل هم كذا؟ يعرفون كل شيء عن المنطقة، ويدخلونها ويحاولون أن يغزوها من الداخل وأن يفرقوا بين أبنائها وأن يفعلوا وأن يفعلوا. هذا هو المعهد الذى أنشأوه.

وهذا هو الذى دفعنى فى تلك الأيام أن أنادى المسلمين فى بلاد شتى: يا مسلمون، قفوا ضد هذا الغزو الجديد. إذا كان هؤلاء قد رصدوا ألف مليون دولار لتنصير المسلمين فى العالم، فلنرصد ألف مليون دولار لحماية الوجود الإسلامى فى العالم. لا لأسلمة العالم، مع أنّ ديننا دين عالمى، ونحن مأمورون أن نبلّغه إلى العالمين، لأنه رحمة الله للعالمين: ﴿**لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً**﴾ [الفرقان: ١] ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ [الأعراف: ١٥٨]، إذا لم نفعل ذلك فعلى الأقل نحمى المسلمين.. المسلمين الذين يستغلون فقرهم وجوعهم، ويستغلون بطالتهم وأميتهم، ويستغلون أمراضهم وأوجاعهم، ويستغلون تيتمهم وتشردهم، يستغلون هذه الأشياء لينشئوا منشآتهم، وهذه المنشآت باسم المسيح والمسيحية، وهكذا.

لم نستطع نحن المسلمين أن نجمع الألف مليون دولار، بل لم نجمع إلى الآن أربعين مليون دولار! وإن كنا أقمنا نشاطاً كبيرا، ولكن الهدف أن نجمع ألف مليون دولار لنوظفها ونستثمرها وننفق من عائدها.

وإذا كان هؤلاء رصدوا ألف مليون دولار، فهم يجمعون سنوياً عشرات آلاف الملايين!

فى حلقة من حلقات برنامج (الشريعة والحياة) كنت أتحدّث عن جهود هؤلاء المنصرين، وكنت أنا أظنّ أنّ لهم حوالى ربع مليون مبشر فى أنحاء العالم، فردّ علىّ أحد الإخوة المعنيين بهذا الأمر (رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعى فى الكويت) الشيخ عبد الله المطوع حفظه الله، وبعث إلى إحصائيات هم كتبوها أنفسهم وقال: إن هناك أربعة ملايين وسبعمائة وخمسين ألف (٤٧٥٠٠٠٠) مبشر ومبشرة يتبعون الكنيسة فى أنحاء العالم، ويأخذون أجورهم من الكنيسة!.

(٤٧٥٠٠٠٠) مبشر ومبشرة يعملون للكنيسة! أنفق عليهم سنة (١٩٩٦م): مائة وثلاثاً وتسعين مليار دولار! وفى سنة (١٩٩٧م) قرروا الزيادة إلى: المائتى مليار!.

انظروا أيها المسلمون: القوم يعملون. لابد أن نعترف بهذا. هم يعملون فماذا نعمل نحن؟ إننا لا نعمل على مستوى الإسلام الذى نؤمن به ونمثله، ولا على مستوى العصر الذى نعيش فيه، ولا على مستوى ما يعمل هؤلاء لدينهم الذى نعتقده نحن ديناً باطلا.

نحن نؤمن بالمسيح عليه السلام، ونؤمن بموسى، ونؤمن بأصل اليهودية وبأصل النصرانية، ولكن نعتقد أن هذه الديانات حُرّفت وبُدّلت، لأنها كانت ديانات موقوتة لزمن معين، ولذلك لم يتكفّل الله بحفظ كتبها، إنما استحفظها أهلها - ﴿ **بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ** ﴾ [المائدة: ٤٤] - فلم يحفظوها، ونسوا حظاً مما ذكروا، وكتبوا الكتاب بأيديهم ثم قالوا هذا من عند الله ﴿ **لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ** ﴾ [البقرة: ٧٩].

القرآن جعل لأهل الكتاب منزلة خاصة، وأمرنا أن نجادلهم بالتى هى

أحسن، وأن نقول: ﴿آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. بل أجاز لنا عند الحاجة أن نتزوج من نسائهم وأن نأكل من ذبائحهم ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة: ٥].

ولكنهم للأسف لم يعاملونا بمثل ما نعاملهم به، إنهم يضمرون الكيد لنا دائماً، من قديم ومن حديث.

من قديم كانت الحروب الصليبية، والصليبية ليست نزعة دينية، إنها نزعة استعمارية، كلها أحقاد وأطماع، وكراهية وبغضاء «والبغضاء هى الحالقة لا تحلق الشعر بل تحلق الدين». إنهم يعاملونا بهذه الروح الصليبية ولا يعاملوننا أننا أهل كتاب.

هؤلاء هم الذين يحاولون اليوم أن يغزونا فى عُقر دارنا، وأن ينصِّرونا، وهيهات هيهات. صحيح أن عندهم رجالاً ونساء نذروا أنفسهم لهذا الأمر، وهذا يجب أن نعترف به. هناك من نذروا أنفسهم لنشر الديانة المسيحية على مابها.

وقد حكى لنا – فى أحد مؤتمرات منظمة الدعوة الإسلامية فى أفريقيا – لواء متقاعد فى الجيش السودانى وعضو مجلس أمناء المنظمة معنا، حكى لنا قصة فيها عظة وعبرة، قال: حينما استقل السودان ذهبنا إلى قرية من قرى الجنوب، فدخلنا بسيارة (جيب)، وحينما رأى الناس السيارة هربوا إلى بيوتهم، لأنهم لم يروا سيارة فى حياتهم، ما هذا الشيء الذى يتحرك ويمشى وليس هو بقرة ولا جاموسة ولا بغلاً ولا حماراً، فأىّ شيىء هذا؟ خاف الناس وهربوا إلى منازلهم استعدناهم وكلمناهم وقلنا لهم: نحن سودانيون مثلكم وجئنا إلى مصلحتكم. ثم يقول: وبينما نحن نكلمهم سمعنا جرساً يدق، فقلنا لهم:

ما هذا الجرس؟ أهنا مدرسة؟ قالوا: لا، لا يوجد هنا مدرسة ولا يوجد أحد يعرف القراءة والكتابة. قلنا: فما هذا الجرس؟ قالوا: هذا أبونا.

قلنا: ومن أبوكم؟ قالوا: هذا الرجل يأتينا كل أسبوع مرتين. ذهبوا إلى هذا الرجل فوجدوه يركب دراجة، سألوه: من أنت؟ قال: أنا فلان الفلانى. من أى بلد؟ قال: أنا من (بروكسل) - من بلجيكا - قالوا: ماذا تفعل؟ قال: أنا جئت هنا لأنشر هداية المسيح. قالوا: كم لك هنا؟ قال: لى ثلاثون سنة! قالوا: كم مرة زرت فيها بلدك؟ قال: ولا مرة! قالوا: ومتى تنوى العودة إلى وطنك؟ قال: ما هذه الأسئلة؟ أنا وطنى هنا، وحياتى هنا، ورسالتى هنا، وقبرى هنا!

الرجل جاء متفرغا لهذه الدعوة، ترك الأزرار الكهربائية والأتوماتيكية، وجاء إلى هذه الغابات وإلى هذه الأدغال، وإلى هذه القرى التى ليس فيها ماء، ولا كهرباء، ولا مدرسة، ولا شىء، القرى التى لم ترفى حياتها سيارة قط ويذهب بدرّاجته إلى نحو ثلاثين قرية، يزور الواحدة منها مرتين فى الأسبوع، ومعه حقيبتان: حقيبة فيها حلوى للأطفال، وحقيبة فيها أدوية خفيفة - قطرة.. مرهم.. اسبرين - يوزع على الأطفال الحلوى، ويوزع على الناس هذه الأدوية، ويحكى لهم بعض قصص المسيح والعذراء.. إلخ.

هذا ما يفعله القوم.

نحن إذن مطالبون أن نعمل لديننا. لماذا لا يُجند للإسلام دعاة من أبنائه، وعندنا نحن المسلمين عشرات الآلاف ومئات الآلاف من الشباب الذين يستطيعون أن يذهبوا إلى آسيا وإلى أفريقيا وإلى غيرها فى الإجازات الصيفية؟

وقد فعل ذلك بعض الإخوة - لجنة مسلمى أفريقيا فى الكويت - واستطاعوا أن يعيدوا الكثيرين من المسلمين إلى الإسلام ويصححوا إسلامهم، ويدخلوا الكثيرين من الوثنيين فى الإسلام. الإسلام دين الفطرة، الإسلام هو الدين الذى يخاطب الفطرة الإنسانية، ويخاطب العقل الإنسانى، لم يأت بشيىء يستحيل على العقل تصوره.

أما المسيحيون فإنهم يأتون بما لا يعقل، يقولون: اعتقد وأنت أعمى! أغمض عينيك ثم اتبعنى! نحن لا نقول هذا، نحن عندنا: ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة: ١١١] الدين عندنا غريزة فطرية وضرورة عقلية. هذا هو الإسلام.

أيّها الإخوة: نحن مطالبون بأن نعمل لديننا، إذا كان الآخرون يعملون لدينهم، ونحن نعتقده باطلاً، حتى قال ابن حزم: لم يوجد مقولة فى الدنيا أشدّ فساداً وبطلاناً من مقولة النّصارى: الثلاثة واحد والواحد ثلاثة (الأب والابن والروح القدس، هم ثلاثة ولكنهم واحد، الواحد هو ثلاثة)! يقول ابن حزم: ولو لم نر هؤلاء الناس بأعيننا، ونجادلهم بألسنتنا، ونسمعهم بآذاننا، ما صدقنا أن فى الوجود من يقول هذا.

هؤلاء مع هذا ينشرون هذه الديانة،وينفقون عليها عشرات المليارات، ويبعثون من أجلها ملايين المبشرين والمبشرات، ونحن أولى بأن نعمل لديننا.

وديننا هو سفينة الإنقاذ للبشرية، هو حبل النّجاة للإنسانية، إنه الدين الذى يعطى الإنسان الآخرة ولا يحرمه من الدنيا، يعطيه الإيمان ولا يسلبه العلم، يصله بالسماء ولا ينتزعه من الأرض، يعطيه الروحانية ولا يحرمه من المادية، لأنه دين التوازن، دنيا وآخرة: ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [البقرة: ٢٠١].

اللهم فقهنا فى ديننا، وعلمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا ﴿**سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ [البقرة: ٣٢].

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

من أغرب ما قرأته فى الأسبوع الماضى تصريح الإدارة الأمريكية الذى تقول فيه: إن السودان يشكل خطراً وتهديداً لأمن الولايات المتحدة!!

وعجبت من هذا الكلام. السودان الذى يحارب من جيرانه بتحريض من أمريكا أيضاً، ويُغزى من هنا وهناك، السودان المحاصر، السودان الذى كلما حاول ان يحل مشاكله صُنعت له مشاكل جديدة. هذا السودان يهدد أقوى دولة فى العالم القطب الأوحد الدولة الكبرى التى تتحكم فى مصير العالم ولم يعد لها منافس ولا شريك؟!

هذا عجب من العجب.

كيف يهدد السودان أمن الولايات المتحدة؟!

لا أدرى ماذا بين الولايات المتحدة وبين السودان؟ ماذا بينها وبين أهل الإسلام بصفة عامة؟ حتى الشيخ أحمد ياسين، هذا الرجل القعيد المجاهد الذى لا يفعل شيئاً غير أن يتكلم ويقول كلمة الحق، وكلماته هادئة وهادية، ويقول: لن نمدّ أيدينا بسوء إلى أحد، لو قاتلونا لن نقاتلهم، سنكون كخير ابنى آدم قال: ﴿**لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾ [المائدة: ٢٨]. ما الذى أزعج الإدارة الأمريكية من زيارة الشيخ أحمد ياسين لقطر والكويت والإمارات؟ الرجل يقول كلمته، ويعرض وجهة نظره.

أيريد هؤلاء أن نركع وأن نلعق الأحذية من أجل السلام المزعوم؟ وماذا نفعل أكثر مما فعلنا؟ ذهب من ذهب، وانحنى من انحنى، وتراجع من تراجع، وتنازل من تنازل، ومع هذا (نتنياهو) يرفض ذلك كله، ويركل السلام بقدميه!

ماذا بين أمريكا وبين المسلمين؟ أمريكا دائماً فى الخطّ المعادى.

السودان كل ما يفعله أنه يحاول أن يحل مشكلاته، وكلما حاول أن يحلها

OBEIKAN.COM

اختلقوا هذه التصريحات. من قريب حينما أيضا حاول ان يحل مشكلته مع الجنوبيين، ظهرت تصريحات أمريكية تقول كذا وكذا.

السودان يحاول أن يقيم مؤسّساته الدستوريّة، وأن يضع دستوراً جديداً ويستفتى عليه، وهو دستور يحاول أن يخرج البلد من الثوريّة إلى الاستقرار والعاديّة. هذا شيء نحيّ السودانيّين عليه، ونبارك لهم هذا الأمر، ونسأل الله أن يرزقهم المزيد من الاستقرار والسكينة والأمن، حتى يحقّقوا العدل، ويحقّقوا الأمن، ويحقّقوا الرفاهية لشعبهم، فى ظلّ الإسلام، وتحت راية القرآن.

ماذا يريد هؤلاء من السودان؟ إنّنى أعجب والله.

إنّنا يجب أن نقف مع السودان، ولا يجوز أن نقف مع أعداء السودان.

إنّى أحيِّى الخطوة البنّاءة الإيجابيّة التى تقوم بها المملكة العربيّة السعوديّة لمحاولة التقريب بين مصر والسودان.

نحن – العرب والمسلمين – أحوج ما نكون إلى لمّ الشمل، وجمع الشّتيت. لا يمكن أن نحلّ مشكلاتنا الكبرى، لا يمكن أن نحقّق نصراً أو نحقق استقراراً أو نحقّق إزدهارا، ونحن متفرّقون. نحن فى عصر التكتلات الكبرى والكيانات الكبرى. العالم يتكتل ويتلاحم ويتضامّ، ونحن نزداد تفرّقاً وتمزّقاً.

لهذا نرحّب بكلّ خطوة تقرّب بين العرب والمسلمين بعضهم وبعض، وخصوصاً بين مصر والسودان.

مصر والسودان بلد واحد، وشعب واحد، ودين واحد، ومصير واحد، لا يجوز أبداً أن ينفصل بعضهما عن بعض. يجب أن يتقاربا، وأن يتغلّبا على أىّ مشكلة تصادفهما.

هذا هو الواجب على هذه الأمّة، فهى أمّة واحدة، ولا يجوز لها أن تتفرقّ أبدا، فتفرّقها لمصلحة أعدائها وليس لمصلحة نفسها أبدا.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجمع كلمتنا على الهدى، وقلوبنا على التقى،

OBEIKAN.COM

وأنفسنا على المحبّة، ونيّاتنا على الجهاد في سبيله، وعزائمنا على عمل الخير وخير العمل. اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل عدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة.

﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمّد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

OBEIKAN.COM

(١٦) وامعتصماه
(مأساة البوسنة والهرسك)

الخطبة الأولى:

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

كوارث متعددة على المسلمين:

تكاثرت المحن والكوارث علينا نحن المسلمين، لا نخرج من محنة إلاّ وقعنا في محنة، ولا نكاد نستفيق من كارثة إلاّ داهمتنا كارثة أشدّ منها، حتى ليحتار من يريد أن يتحدّث عن كوارث المسلمين ومآسيهم في أيّها يتحدث، وأيّها يترك.

الكوارث شتّى، والمصائب تتوالى، بحيث يرقّق بعضها بعضا، وينسى بعضها بعضا، كما قال أبو الطيّب:

رمانى الدهر بالأرزاء حتى ... فؤادى فى غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتنى سهام ... تكسرت النصال على النصال

مآسينا كثيرة، ومصائبنا شتّى.

أنتحدّث عن المسلمين حول المسجد الأقصى.. المسلمين في أرض النبوّات.. في الأرض المقدّسة في فلسطين، حيث المذابح مستمرّة، وحيث أطفال الحجارة، وأشبالهم وشبابهم يعملون ما يستطيعون؟

أنتحدث عن المسلمين في لبنان وما يجرى عليهم، والغارات الإسرائيليّة المستمرّة؟

أنتحدث عن وحشيّة اليهود الذين يتحدّون العالم ويقيمون المستوطنات، ويصرّون على موقفهم، ويتحدّون العالم كلّه بغطرسة وكبرياء، ولا يبالون بأوربا ولا بأمريكا ولا بعرب ولا بمسلمين، والمسلمون والعرب يلهثون وراءهم يستجدون السلام؟!

OBEIKAN.COM

أنتحدّث عن المسلمين في كشمير وما يحدث لهم من مذابح تقشعرّ منها الأبدان، وتشيب من هولها الولدان؟ أنتحدث عن ثلاثمائة ألف أسرة مشرَّدة، لا تجد المأوى، ولا تجد ما يسد الرمق؟ أنتحدّث عن المشرّدين المهاجرين من بورما، الذين طاردتهم الدولة الدكتاتورية الطاغية، ولم يجدوا صدراً حنوناً ولا كهفاً يأوون إليه؟

أنتحدث عن إخواننا الذين يلاقون الأمرّين في الهند، والذين يذبحون من أجل أنهم يريدون إقامة مسجد لهم؟

أنتحدّث عن إخواننا الذين يذوقون الصاب والعلقم في بلاد العالم كلّه، من اليهوديّة حيناً، ومن الشيوعيّة حيناً، ومن الصليبية حيناً، ومن الوثنيّة حينا، ومن كلّ ذي دين وذي نحلة، ومن لا دين له ولا نحلة؟

هكذا، أصبحنا نحن المسلمين نهباً لكل من يريد، أصبحنا هدفاً لكل رامٍ ولكل ضارب، ولكلّ حابل ونابل، هكذا صرنا نحن المسلمين.

مأساة إخواننا فى البوسنة والهرسك:

فيم نتحدث؟

لنتحدث في المصائب الجديدة التي تحلّ بنا ما بين حين وحين. وأحدث هذه المصائب وأحدث هذه الكوارث: كارثة إخواننا في البوسنة والهرسك، وما حولها من المناطق الإسلاميّة، التى دخلها الإسلام في تلك الديار في أوربّا الشرقيّة، وأصبحت كيانات إسلاميّة متميزة، لها ثقافتها، لها تراثها، لها رجالها، لها مشيختها، لها مساجدها، لها مكتباتها، لها متاحفها، لها دورها، لها معاهدها.

هذه الكيانات الإسلاميّة التي ضُمّت فيما ضُمّ إلى البلاد الشيوعيّة من قديم، ضُمّ منها من ضُمّ إلى الاتحاد السوفيتى، وضُمّ منها ما ضُمّ إلى الاتحاد اليوغسلافى. فلما انهارت الشيوعيّة فى الاتحاد السوفيتى وانهارت في أوربّا الشرقيّة، تفكّكت هذه الكيانات التي كان يضمها القهر وحده، وأصبحت كلّ جماعة تبحث عن استقلالها وعن سيادتها وعن شخصيتها التاريخيّة. وطالب

الكثيرون بالاستقلال وأُعطوه، وطالب إخوتنا في البوسنة والهرسك بالاستقلال – كما طالب الكروات وغيرهم– واعترف المجتمع الدولي لهم بحق ألا، اعترفت أوربّا، واعترفت أمريكا، واعترف الكثيرون من العرب والمسلمين لهم.

مجازر وحشية:

وقد حضر إلى هنا رئيس المشيخة الإسلاميّة في العام الماضي، وتكلّم أمامكم هنا في هذا المسجد، وذكر أنّهم يقفون أمام الصراع الدائر لا يتدخلون فيه بين العرقيّات المختلفة، ولكنّه قال: حينما تهدد حقوقنا وتنتهك حرماتنا، ونتعرّض للظلم، فإنّنا لابدّ مدافعون عن أنفسنا، ولن نسكت على الذل، ولن نرضى بالضيم، ولكننا سنقاتل دفاعاً عن أنفسنا، وبكلّ طاقاتنا وإمكاناتنا، وهذا ما فعلوه.

هذا ما فعلوه الآن حين تعرّضوا لهذه الوحشيّة الصربيّة الصليبيّة التي تريد أن تقتلع الإسلام من جذوره في تلك الديار. إنّها صليبيّة وحشيّة، إي وربي إنّها لصليبيّة، ليست مجرّد حروب عرقيّة كما يسمّونها، لا، إنّها حرب على المسلمين والمسلمين بالذات.

إنّ المسلمين هناك يقتلون على بطاقات الهويّة الشخصيّة، من عرف أنّه مسلم فإنّه يذبح بالسكاكين، ويمثّل بجثّته بعد موته، ويرسم على جثّته الصليب الأرثوذكسي لمجردّ أنّه مسلم. يقتل الرجال، تغتصب النّساء، تنتهك أعراض الفتيات. هل سمعتم بمثل هذا في التاريخ في العصر الحديث.. عصر حقوق الإنسان؟

أسمعتم بالطفل يقتل أمام أمّه وأبيه؟ أسمعتم بالأب يقتل أمام أبنائه؟ أسمعتم بالزوجة تغتصب أمام زوجها؟ أسمعتم بالأسرة تُباد عن آخرها فرداً فرداً ولا يبقى منها أحد؟

يحدث هذا على مرأى من العالم ومسمع، يالله! رخصت دماؤنا نحن

المسلمين. أىّ يهودىّ تشوكه شوكة تقوم له الدنيا ولا تقعد، أىّ إنسان فى بلاد واق الواق إذا أصابه شىء انهالت الاحتجاجات وحدث ما حدث. نحن المسلمين وحدنا أصحاب الدم الرخيص الذى لا قيمة له ولا وزن ولا سعر.

أين العالم المتحضّر؟ أين النّظام العالمى الجديد؟ أين قوّات التحالف الدوليّة؟ أين القوّة العالميّة الأولى فى العالم والوحيدة الآن؟ أين الذين خفّوا باسم نجدة الكويت يوماً ما للوقوف ضدّ الظالم المعتدى؟ أكان هذا لنجدة الكويت؟ أم كان هذا ضدّ العراق كما يقول من يقول؟

ما يحدث الآن أشدّ مّما يحدث فى الكويت بمرّات ومرّات، فلماذا يترك القوىّ يفترس الضعيف؟ المسلمون هناك لا حول لهم ولا طول، والجيش الاتحادى فى يوغسلافيا - الذى سلّح بأموال المسلمين كما سلّح بأموال غيرهم - يتدخل الآن لصالح الصربيّين الحاقدين المتعصبيّن، الحزب الحاكم فى صربيا يفعل أفاعيله، وليس عند المسلمين إلاّ الأسلحة الخفيفة، فأين من يساعد المسلمين؟

لقد سُئلت المتحدثة بلسان وزارة الخارجية الأمريكيّة: لماذا لا تتدخل أمريكا؟ لماذا لا تقف فى وجه ذلك العدوان؟ لقد تدخلت لمنع القوّات الصربيّة والطائرات الصربيّة من ضرب الكروات، لماذا لا تتدخل كما تدخلت فى أزمة العراق والكويت؟ قالت بصراحة: إنّ ما نشاهده فى البوسنة والهرسك ليعصر القلب عصراً، ولا يستطيع أحد مشاهدة هذه المأساة إلاّ تأثرّ، ولكن أمريكا ليس لها هناك مصالح استراتيجيّة، والشعب الأمريكى لم يطالب بالتدخل!!

المسألة إذن مسألة مصالح استراتيجيّة، ليست مسألة قيم أخلاقيّة، ولا حقوق إنسانيّة، كما كان يقال.

لماذا لا يتحرك العالم؟ وكيف يتحرك العالم والمسلمون أنفسهم لم يتحرّكوا! أين المسلمون؟ أين الدول الإسلاميّة؟ أين المؤتمر الإسلامى؟ لماذا لا يدعو إلى قمّة عاجلة تبحث فى هذا الأمر حتى يشعر النّاس أنّ هناك رباطاً يربط

بين المسلمين بعضهم وبعض، وأنّ هناك أخوّة إسلاميّة، وأنّ هناك وحدةً في العقيدة ووحدةً في القبلة ووحدة في الشعور، فـ «من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم..»[1]؟

أين حكومات المسلمين المشغولة بملاحقة الأصوليّين حيثما حلّوا وحيثما ذهبوا؟ ألا ينشغلون يوماً بمآسي المسلمين؟

إنّهم مشغولون بالمتطرّفين ودعاة العنف كما يقولون، ولا نلوم دعاة العنف، فقد أصبح موقفهم قويّاً وموقفنا نحن دعاة الاعتدال ضعيفاً. الشباب الذي يدعو إلى العنف يقولون: ما يحدث في العالم كلّه ضد المسلمين وضدّ الإسلام لا يمكن أن يقاوم إلاّ بالعنف، دعونا نتخذ العنف طريقا ما دام أهل الحلّ والعقد صامتين صمت القبور.

أين الحميّة الإسلاميّة؟ لقد قال الشاعر العربي قديماً:

متى تحمل القلب الذكي وصارماً وأنفاً حميّاً تجتنبك المراهم

فأين القلوب الذكيّة؟ وأين الأنوف الحميّة؟ وأين السيوف العربيّة والإسلاميّة؟ لقد أصبحت سيوفنا من خشب كسيوف الخطباء على المنابر!، لا ترهب أحداً، لا تشدّ أزر صديق، ولا تردّ كيد عدو!

إنّنا- أيها الإخوة المسلمون- في حاجة إلى أن نحيا من جديد.. إلى أن نحيا حياة المسلم، الذي يشعر برباط الإسلام يشدّه إلى إخوانه حيثما كانوا.

هؤلاء الإخوة في البوسنة كانوا معنا كلّما نزلت بالمسلمين نازلة. في المسجد الأقصى، هم معنا على رغم ما كانوا فيه، فلابدّ أن يتواصى المسلمون في

---

(١) رواه الطبراني من رواية عبدالله بن أبي جعفر الرازي وقد اختلفوا فيه، ضعّفه البعض ووثّقه آخرون. وتتمّته: «ومن لم يصبح ويمس ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامّة المسلمين، فليس منهم» (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوي: ٢ / ٥١٤ برقم ٩٩٧).

كلّ مكان بنجدة إخوانهم بكلّ ما نستطيع، بالمال.. بالسلاح لو استطعنا أن نوصل إليهم السلاح.. بالغذاء والدواء، إنّهم هناك يموتون جوعا، لا يجدون القوت الذى يمسك الرمق، هناك مجاعات، ولا تستطيع الإغاثة أن تصل إليهم، وقد قال واحد منهم: إنّنا نطالب العالم المتحضّر أن يرسل إلينا إغاثات مع حراسة مسلّحة وإلاّ نهبت فى الطريق ومنعها الصربيّون.

إنّها الصليبيّة أيّها الإخوة، الصليبيّة تهدّد الآن ستة ملايين من المسلمين. وهى صليبيّة قديمة، منذ خمسين عاماً دخل هؤلاء الصليبيّون إلى إحدى المدن العريقة فى البوسنة فى يوم عيد الأضحى، وقتلوا من أهلها ستين ألفاً. وبدأوا بإمامهم ومفتيهم، ذبحوه أمام المسجد، وقالوا: هذه أوّل ضحيّة من ضحايا العيد!

إنّه الحقد الأسود، إنّها ليست مسيحيّة، ما أبعد الصليبيّة عن المسيحيّة، المسيحيّة الحقيقيّة سماحة بيضاء، والصليبيّة حقد أسود.

إنهم يقولون: إن هذا آخر المسلسل بيننا وبين العثمانيّين والأتراك المسلمين. وهؤلاء المسلمون فى البوسنة والهرسك ليسوا أتراكاً، إنهّم من الجنس السُلافى، وليسوا من الجنس التركى. ولكنّهم يريدون أن ينتقموا من كلّ مسلم يقدرون عليه، يريدون أن ينتقموا من كلّ مسلم تستطيع أيديهم الوصول إليه، هو الحقد الصليبى الذى يكمن فى صدور هؤلاء ضدّ الإسلام وضدّ المسلمين.

هل يهنأ لنا نوم إذا تركنا إخواننا هؤلاء وهم يحتاجون إلى الغذاء، وإلى الدواء، وإلى الكساء، وإلى الغطاء، وإلى كلّ شىء؟ أين الإسلام أيّها الأخ المسلم وأيتّها الأخت المسلمة؟ أين الإسلام يا أخى وأنت تضحك ملء سنّك،وتأكل ملّ بطنك، وتنام ملء جفنك؟ وإخوانك هناك فى البوسنة والهرسك وكوسوفو وغيرها من تلك المناطق ينامون وبطونهم خاوية، وأعينهم من الهّم باكية، وجنوبهم عن المضاجع متجافية؟ وكيف ينام الجائع؟ كيف ينام الخائف؟ كيف ينام المهدّد الذى ينتظر القتل فى كلّ وقت.. ينتظر استباحة العرض واستباحة الدم من أولئك المتوحشين الذين لا يخافون خالقاً ولا يرحمون مخلوقا.

عندما دخل القائد الإنكليزى (أللّنبى) القدس سنة (١٩١٧م) واستولى عليها، قال فيِ شماتة وانتفاخ: اليوم انتهت الحروب الصليبيّة! أى أنّه ثأر للقرون التيِ مرّت حينما استعاد صلاح الدين بيت المقدس من الصليبيّين بعد أن كان أسيراً فى أيديهم لمدّة تسعين عاماً.

والحقّ أيّها الإخوة أنّ الحروب الصليبيّة لم تنته كما قال أللنْبى، الحروب الصليبيّة مستمرّة بصورة وأخرى، وفيِ مكان وآخر، وبأسلوب وآخر. الحروب مستمرّة ضدّنا نحن المسلمين، من الصليبيّة ومن اليهوديّة ومن الوثنيّة ومن الشيوعيّة، يختلفون فيما بينهم ويتحدون علينا فالكفر ملّة واحدة ﴿ **وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [الجاثية: ١٩].

من لنا إلاّ الله عزّ وجل؟ إلى الله نشكو، إلى الله نشكو تقاعس المسلمين عن نصرة إخوانهم.

يوم كان المسلمون مسلمين:

قديماً حينما سمع عمر بن عبد العزيز أنّ مسلماً فيِ بلاد الروم قد استُذلّ وأهين، فأرسل إلى ملك الروم يقول له: أمّا بعد فقد بلغنى أنّ عندكم أسيراً مسلماً فعلتم به كذا وكذا، فإذا بلغك كتابى هذا فخلّ سبيله، وإلاّ غزوتكم بجنود أوّلها عندك وآخرها عندىِ!

هنالك خُلّىِ سبيل المسلم، وأطلق سراحه.

كانت وراءه دولة تستطيع أن تشدّ أزره، وتحمى ظهره، وعندنا الآن بضع وأربعون دولة، ولكنّها لا تشدّ الأزر، ولا تحمى الظهر.

عندما سمع المعتصم أنّ امرأة فيِ بلاد الروم.. فىِ عموريّة استغاثت، حينما ضربت أو أهينت، فقالت: وامعتصماه.. وامعتصماه، وبلغت هذه الاستغاثة مسامع الخليفة العباسى فقال: لبيّك.. لبيّكِ أختاه! وأمر بالتجهيز لمعركة قادمة والإعداد لفتح عموريّة. وقال له بعض المنجّمين: إنّ الوقت ليس مناسباً، انتظر

حتى ينضج التين والعنب! فلم يبال بقولهم، وذهب إلى عموريّة، وكانت واقعة من وقائع الإسلام.. معركة من المعارك الحاسمة في التاريخ. فتحت عموريّة- التي مكانها الآن مدينة (بورصة) في تركيا- وقال في ذلك أبو تمّام ساخراً من المنجميّن الذين قالوا ما قالوا، قال قصيدته الرائعة البائية الشهيرة:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب

وقال فيما قال من هذه القصيدة:

عشرون ألفاً[1] كآساد الشّرى نضجت جلودهم قبل نضيج التين والعنب![2]

والآن ليس لنا (معتصم) فنقول: وامعتصماه.. واخليفتاه، لنا (معتصمون) كثيرون ولكن لا يغنون شيئا، ولا ينجدون مستنجدا، ولا يغيثون ملهوفا.

بعد تهديم قلعة الخلافة:

ذهبت الخلافة الواحدة التي كانت تجمع شتات الأمّة وتضمّها في إطار واحد، وتجعل منها قوة مرهوبة، ولكن أعداء الإسلام حطموا هذه القلعة، فلم يبق لنا شيىء نجتمع عليه. وليس عندنا سلطة دينية جامعة كالبابا عند النّصارى، فلهذا طمع فينا الطامعون من شرق وغرب، ومن شمال وجنوب.

وامعتصماه، من لنا بمعتصم يغيث لهفة هؤلاء الإخوة، ويقول لهم: لبيكم لبيكم؟ من لنا أيّها الإخوة؟

أصبحنا الآن كما كان المسلمون في آخر العهد الأندلسي طوائف شتّى وطرائق قددا، تسقط المدينة تلو المدينة - بعد أن مزّقتهم الاختلافات والتفرّقات

---

(١) الذين قتلهم المسلمون (القرضاوي).

(٢) الذين كان يقول به المنجمون (القرضاوي).

المختلفة – ولم تغن عنهم الألقاب الضخمة والأوصاف الفخمة التى عبر عنها شاعر ساخر فقال:

ممّا يزهّدنى فى أرض أندلس ألقاب معتصم فيها ومعتضد
ألقاب مملكة فى غير موضعها كالهرّ يحكى انتفاخاً صورة الأسد

أندلس أخرى:

ضاعت الأندلس، ولم نملك نحن المسلمين إلاّ أن نرثيها! رُثيت المدن التى تسقط مدينة بعد مدينة، حتى سقطت (غرناطة)، سقطت آخر القلاع ورثاها ذلك الشاعر المبدع (أبو البقاء الرندى) برائعته النّونيّة:

لكلّ شىيء إذا ماتمّ نقصان فلا يُغرّ بطيب العيش إنسان
هى الأمور كما شاهدتها دول من سرّه زمن ساءته أزمان

وتحدّث عمّا جرى للمسلمين، وعن ارتفاع الصلبان على المساجد، وعن كذا وعن كذا، كأنّما يحكى عمّا يحدث الآن فى البوسنة والهرسك، إلى أن ختم قصيدته بقوله:

لمثل هذا يذوب القلب من كمدٍ إن كان فى القلب إسلام وإيمان

فهل فى القلوب إسلام وإيمان حتى تذوب كمداً من أجل إخواننا هناك؟ إى والله، لازال فى القلوب إيمان، ولا زال فيها نبض الأخوة الإسلامية. فلا عجب أن تسيل العيون عبرات، وأن تتقطع القلوب زفرات، وأن تذهب الأنفس حسرات، على إخواننا الذين يعانون ما يعانون هناك فى تلك الديار.

هاتوا من المليار مليونا صحاحا من صحاح:

يا أبناء الإسلام.. يا أبناء الإسلام! هبّوا لنجدة إخوانكم، أغيثوا لهفة الملهوف، فرّجوا كربة المكروب، ابذلوا من أنفسكم.. من أموالكم.. من قلوبكم.. من ألسنتكم بالدعاء على الأقل، أشعروهم أنّنا معهم.

يا أيّها المسلمون فى كل مكان:

يـا أمّـــــة الإســـــلام هبُّـ ـوا واعـــملوا، فـــالوقت راح
يـا ألـف مـليـــــــون، وأيـ ـن هـمـــوا إذا دعت الجـــراح؟
هـاتـوا مـن المـلـيـــــار مـلـ ـيـوناً، صـحـاحـاً من صـحـاح
مـن كـل ألـف واحـــــــدا أغـــزو بهم فى كلّ ســـاح
مـن كـل صـــــافى الروح يـو شك أن يـطـيـــــر بلا جـنـاح
ممّـن يـخـفّ إلـى صـــــــلا ة الـلـيـل بـادى الارتـيـــــاح
ممّـن زكـــا بالصـــالحـــا ت، وذكـره كـالمسك فـاح
بـكّـاء مـــحـــراب، ولـكـ ـن فى الوغى كـبش النّطاح
مـــرٌّ عـلـى أعـــــدائـه ولقـومـــه مـاء قـراح[1]

نحن فى حـاجـة إلى أن نجـد من كلّ ألف واحـداً، لا بل نصف واحـد.. خمس واحد.

نحن والله فى حاجة إلى أن نراجع أنفسنا ولا نعيش هذه العيشة، نستذلّ من هؤلاء وهؤلاء ونسكت، لا، ينبغى أن يعرف العالم أنّنا بالمرصاد لكلّ من ينال منّا، ولكلّ من يعتدى علينا، ولكلّ من ينتهك حرماتنا.

نحن المسلمين إذا تجمعنا كنّا قوّة.. قوّة عسكرية، وقوّة اقتصادية، وقوة سياسية. نستطيع أن نضغط بقوتنا، فلماذا لا يضغط أصدقاء أمريكا على أمريكا، وأصدقاء أوروبا على أوروبا؟ لماذا لا يضغطون؟ لماذا لا يتحركون حتى ننصف إخواننا من أنفسنا، وحتى نقوم بحقّهم علينا، وحقّ الله تبارك وتعالى قبل ذلك؟

---

(١) هذه الأبيات من قصيدة للشيخ القرضاوى بعنوان (يا أمتى وجب الكفاح)، نظّمها فى ١٦/٨/١٤٠٥هـ الموافق ٦/٥/١٩٨٥م. وقد نشرها فى ديوانه (نفحات ولفحات).

OBEIKAN.COM

لقد ضاعت فرحة الانتصار الأفغانى، كنّا نودّ أن نعيش مدّة من الزمن نقيم فيها الأفراح بفتح (كابل) وانتصار الجهاد، ولكن يأبى علينا هؤلاء إلاّ أن يكدّروا علينا صفونا، لا نكاد نقيم عرساً إلاّ انقَلب إلى مأتم.

عادت أغانى العرس رجْعَ نواح! كما قال شوقى رحمه الله.

هكذا قُدّر علينا.

يا أيّها الإخوة المسلمون:

لابدّ من عمل، لا يكفى أن نحتج أو نستنكر، لابّد من عمل، لابّد من وقفة مع هؤلاء، وقفة مادية ووقفة أدبّية، وقفة لله.. للإسلام.. للحق.. للإنسانيّة.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يعيننا على أن نقف مع الحق، وعلى أن نقاوم الباطل، وعلى أن نصارع الظلم، وعلى أن نواجه المتوحشين الذين يكيدون للإسلام، والله من ورائهم محيط ﴿**إِنَّهُم يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا**﴾ [الطارق: ١٥ – ١٧].

أقول قولى هذا، وأستغفر الله تعالى لى ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أيها الإخوة: لابّد من تنظيم حملة لجمع التبرعّات لإخواننا هؤلاء، وأعتقد أنّه سيعمل شيىء عام إن شاء الله فى (قطر) لنجدة هؤلاء الإخوة، فلا ينبغى أن نضنّ عليهم أو نبخل.

إذا لم نستطع أن نذهب إليهم بأنفسنا، إذا لم نستطع أن نقاتل معهم – وهذا هو الواجب كما يقول الله تعالى: ﴿**وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا**﴾

[النّساء: ٧٥] – نستطيع أن ندفع إليهم المال ليتسلّحوا، نستطيع أن نبعث إليهم الإغاثات المادّية والعينية بكلّ السبل.

هناك إخواننا فى أوروبا: الأمانة العامّة لاتحاد المنظمات الإسلامية، والأمانة العامّة لمسلمى أوروبا الشرقية، وهم يقومون بجهد طيّب جزاهم الله خيرا. وقد بدأت هيئة الإغاثة الإسلامية فى السعودية، والندوة العالمية للشباب الإسلامى وبعض الجهات الأخرى فى السعودية، وقامت بجهد طيب.

ونحن هنا – إن شاء الله – فى قطر، لن نتخلّف عن أىّ واجب إسلامى، فلابدّ من أن نعمل ونسعى بكلّ ما نستطيع، كلٌّ على قدر ما يستطيع، ومن لم يستطع أن يبذل من نفسه فليبذل من ماله: ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [التوبة: ٤١]، الجهاد بالمال قرين الجهاد بالنفس بل هو مقدّم عليه فى القرآن الكريم.

ثمّ علينا أن ندعوا لإخواننا فى كلّ وقت، ندعو الله سبحانه وتعالى أن ينصرهم على أولئك الصليبيّين المتوحشين الحاقدين الكائدين، وسنقنت – إن شاء الله – بعد الركعة الثانية من صلاة الجمعة قنوت النّوازل، كما كان يفعل النبى ﷺ فى النّوازل، وهو قنوت مشروع بإجماع علماء الأمّة.

اللهم انصر إخواننا المضطهدين، اللهم خُذ بيد إخواننا المظلومين، اللهم خُذ بيد إخواننا فى البوسنة والهرسك، وخُذ بيد إخواننا فى فلسطين ولبنان، وخُذ بيد إخواننا المضطهدين فى كلّ مكان. اللهم انصرهم نصراً عزيزا، وافتح لهم فتحاً مبينا، واهدهم صراطاً مستقيما، وانصرهم على عدوّك وعدوّهم.

اللهم عليك باليهود الغادرين، اللهم عليك بالصليبيّين الحاقدين، اللهم عليك بالشيوعيين الجاحدين، اللهم عليك بالوثنيين المتعصبين، اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين. اللهم رُدّعنّا كيدهم، وفُلّ حدّهم. اللهم إنّا ندرأ بك فى نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم. اللهم أدر الدائرة عليهم، وسق الوبال إليهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين.